فصـــــل
في النوع الثاني: الخلاف الواقع في التفسير من جهة الاستدلال

الاستدلال) وأما النوع الثاني من سببي الاختلاف وهو ما يعلم بالاستدلال لا بالنقل، فهذا أكثر ما فيه الخطأ من جهتين حدثتا بعد تفسير الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، فإن التفاسير التي يذكر فيها كلام هؤلاء صرفاً لا يكاد يوجد فيها شيء من هاتين الجهتين، مثل تفسير عبدالرزاق[1] ووكيع[2] وعبد بن حميد[3]، وعبدالرحمن بن إبراهيم دحيم، ومثل تفسير الإمام أحـــمـد. وإســحـاق بن رهـويه. وبقي بن مخلد وأبي بكر بن المنــذر وســفيــان بن عيـيـنـة وســنيي وابن جــريــر وابـن أبـي

(١) عبـدالـرزاق بن همـام بن نافـع الحميدي الصنعاني أحد الأئمة الأعلام الحفاظ، أخذ عن ابن جريج وهشام بن حسان وثور بن يزيد ومعمر ومالك، ورحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم وأخذوا عنه، قال الإمام أحمد لم أسمع منه شيئاً لكنه رجل يعجبه أخبار الناس. ولد سنة ١٢٦هـ وتوفي سنة ٢١١هـ.

(٢) وكيع بن الجراح بن مليح الرماشي الكوفي أحد الأئمة الأعلام، أخذ عن هشام بن عروة وابن عون وشعبة، وهو من شيوخ الإمام أحمد وطبقته، قال أحمد: ما رأيت مثله في العلم والحفظ والإتقان مع خشوع وورع. توفي سنة ١٩٦.

(٣) عبد بن حميد بن نصر الكسي أخذ عن علي بن عاصم ومحمد بن بشر وعبدالرزاق والنضر بن شميل، وأخذ عنه مسلم والترمذي، قال ابن حجر في التقريب: ثقة حافظ. توفي سنة ٢٤٩.

حاتم وأبي سعيد الأشج وأبي عبدالله بن ماجه وابن مردويه.

أحدهما: قوم اعتقدوا معاني ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به.

الشـــرح

إذاً القسم الأول: وهم الـذين اعتقـدوا شيئاً فأرادوا أن يحملوا معاني الكلام عليه، وهذا كما يكون في العقائد والأمور العلمية يكون كذلك في الأحكام والأمور العملية، تجد الرجل يعتقد مذهباً معيناً ثم يحاول أن يصرف معاني النصوص إلى ذلك المعنى المعين الذي كان يعتقده، سواء في أسماء الله وصفاته، أو في التوحيد، أو ما أشبه ذلك.

فمثلاً: يقول أنا أجيز التوسل حتى بالجن والشياطين لأن الله يقـول: ﴿**يـا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٣٢]، فأتوسل بكل شيء، وكذلك أيضاً ينكر صفات الله عز وجـل ويقـول لأن الله يقـول: ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ [سورة الشورى، الآية: ١١]. وأنا إذا أثبت الصفة مثلت. يكون معتقد هذا الاعتقاد ثم يحمل القرآن على ذلك.

القسم الثاني: ليس عنده اعتقاد سابق لكنه يفسر القرآن بحسب ما يدل عليه اللفظ، بقطع النظر عن المتكلم به وهو الله، وعن المنزل

عليه وهو الرسول ﷺ، وعن المخاطب به وهم المرسل إليهم. ينظر إلى الكلام من حيث هو كلام فقط، وهذا أيضاً خطأ، فإنه بلا شك عند جميع الناس أن الكلام يختلف معناه بحسب المتكلم به، وبحسب المخاطب به أيضاً.

فمثلاً لو جاءتك كلمة نابية من شخص محترم، وجاءتك مثل هذه الكلمة من شخص ساقط فإن كلمة الأول أشد تأثيراً، لأن كلمة المحترم لها وزن، فإذا وصفني بعيب مثلاً معناه أنه حط من قدري، لكن إذا جاء شخص ساقط يسب كل أحد وسبني فلن يهمني كثيراً. مع أن الكلمة واحدة.

كذلك أيضاً، لو أن واحداً تكلم مع شخص قال والله هذا رجيل! ـ ورجيل تصغير رجل ـ وهو يتحدث عن صبي صغير، صارت مدحاً له، ولكن لو قالها لرجل عاقل كبير صارت ذماً.

إذاً فالكلمة الواحدة تجدها تختلف بحسب المخاطب بها، حتى إن الكلمة التي تصغر تكون أحياناً معناها عظيم وكبير كما مر علينا:

وكل أناس سوف تصدر بينهم دويهية تصفر منها الأنام

فبعض الناس يأخذ القرآن والحديث يفسره بحسب ما يقتضيه ذلك اللفظ الظاهر بقطع النظر عن المتكلم به والمخاطب والمنزل عليه وقرائن الأحوال، وهذا خطأ.

المتن

فالأولون راعوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان ، والآخرون راعَوْا مجرد اللفظ

وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به وسياق الكلام، ثم هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما أن الأولين كثيراً ما يغلطون في صحة المعنى على الذي فسروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون، وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق.

الشـــرح

الواجب للإنسان أن ينظر إلى اللفظ وينظر إلى قرائنه المختصة به، من حال المتكلم به والمخاطب والمنزل عليه وما أشبه ذلك، وهذا شيء معروف لكل أحد، بل إن الكلام يختلف حتى في نبرات المتكلم؛ فلو تكلم مثلاً بعنف واحمرار عين وانتفاخ أوداج وانتشار شعر ليس كمن تكلم بهدوء، فالأول كأنما يرمي بشرر والثاني ليس كذلك.

فالشيخ رحمه الله هنا جعلهم على قسمين: قسم ينظر إلى المعنى لكن يحاولون أن يجعلوه على ما يريدونه هم، وقسم ينظرون إلى اللفظ فقط، ما عندهم اعتقاد سابق لكن ينظرون إلى مجرد اللفظ بقطع النظر عن الأحوال والقرائن. فهؤلاء ينظرون إلى المعنى وهؤلاء ينظرون إلى اللفظ، ويقصد بالأولين الذين عندهم اعتقاد.

المتـــن

والأولون صنفان تارة يسلبون لفظ القرآن وما دل عليه وأريد به، وتارة يحملونه على مالم يدل عليه ولم يرد به. وفي كلا الأمرين قد يكون ما قصدوا نفيه أو إثباته من المعنى باطلاً فيكون خطؤهم في الدليل والمدلول،

وقد يكون حقاً فيكون خطؤهم في الدليل لا في المدلول، وهذا كما أنه وقع في تفسير القرآن فإنه وقع أيضاً في تفسير الحديث.

فالـذين أخـطأوا في الـدليل والمدلول مثل طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق الذي عليه الأمة الوسط الذين لا يجتمعون على ضلالة كسلف الأمة وأئمتها.

وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم؛ تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالـة فيهـا، وتارة يتأولون مايخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه.

الشـــرح

والفرق بين الأمرين إنهم تارة يستدلون بآيات على مذهبهم ولا دلالة فيها، وتارة يتألون ما يخالف مذهبهم ويحرفون الكلم عن مواضعه. ونضرب مثلاً لذلك بالمعطلة، حيث يقولون: (ليس كمثله شيء)، هذا يدلنا على أننا لا نثبت أي صفة تكون للمخلوق، وليس صحيح أن الآية تدل على ما قالوا. وتارة يحرفون الكلم فيقولون: إن المراد باليد: القدرة أو النعمة. فهم يثبتون هذا لكن يحرفونه، فتارة يحملون اللفظ ما لا يحتمله وتارة يصرفونه عن معناه.

ومن هذا ما وقع أخيراً من أولئك الذين فسروا القرآن بما يسمى بالإعجاز العلمي، حيث كانوا يحملون القرآن أحياناً ما لا يتحمل. صحيح أن لهم استنباطات جيدة تدل على أن القرآن حق ومن الله عزّ وجلّ، وتنفع في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام ممن يعتمدون على الأدلة الحسية في الامتناع بما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، لكنهم أحيانـاً يحملون القـرآن ما لا يتحمله، مثل قولهم: إن قوله

تعالى: ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**﴾، إن هذا يعني به الوصول إلى القمر وإلى النجوم وما أشبه ذلك، لأن الله قال: ﴿**لا تنفـذون إلا بسلطان**﴾ والسلطان عنـدهم العلم. وهـذا لا شك أنه تحـريف، وأنـه حرام أن يفسـر كلام الله بهذا، لأن من تدبر الآية وجدها، تتحدث عن يوم القيامة، والسياق كله يدل على هذا. ثم إنه يقول: ﴿**أن تنفذوا من أقطار السمٰوات والأرض**﴾ وهؤلاء ما نفذوا من أقطار السمٰوات، بل وما وصلوا إلى السماء، وأيضاً يقول: ﴿**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس**﴾ وهؤلاء لم يرسل عليهم.

المهم أن من الناس من يتجاوز ويغلو في إثبات أشياء من القرآن ما دل عليها القرآن، ومنهم من يفرط وينفي أشياء دل عليها القرآن، لكن يقول هذا ما قاله العلماء السابقون ولا نقبله. لا صرفاً ولا عدلاً، وهذا خطأ أيضاً، فإذا دل القرآن على ما دل عليه العلم الآن من دقائق المخلوقـات، فلا مانـع من أن نقبله وأن نصـدق به إذا كان اللفظ يحتمله، أما إذا كان اللفظ لا يحتمله فلا يمكن أن نقول به.

المتـــن

ومن هؤلاء فرق الخـوارج والـروافض والجهميـة والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم. وهذا كالمعتزلة مثلاً فإنهم من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان.

الشـــرح

فالخـوارج مثـلاً يأخـذون بنصـوص الـوعيد ومـا ظاهره الكفر، فيكفرون المسلمين بالكبائر.

والـرافضة يحرِّفون القرآن أيضاً فيقولون في قوله تعالى: ﴿مرج البحـرين يلتقيان﴾ المراد بذلك علي وفاطمة، ويقولون: (والشجرة الملعونة في القرآن)، المراد بها بنو أمية. ولهم تفاسير غريبة منكرة، والعياذ بالله، فهم يحرفون الكلم عن مواضعه في تفسير الآيات الدالة على الـذنب وتـأويلهـا إلى خصـومهم، والآيات الدالة على المدح يجعلونها لمن ينتصرون لهم.

وكذلك الجهمية والعياذ بالله أصحاب الجهم بن صفوان يحرفون كل آيات الصفات لأنهم يعتقدون أن الله ليس له صفة، وأن أسماءه مجرد أعلام، ومنهم من يقول: إنه ليس له اسم ولا صفة، وأما هذه الأسماء أسماء لمخلوقاته، ليست أسماءً لهم وعلى كل حال الحمد لله ﴿فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢١٣]، وأما المعتزلة أصحاب واصل بن عطاء وعمرو ابن عبيد فهم كما قال شيخ الإسلام رحمه الله من أعظم الناس كلاماً وجدالاً، لأنهم دائماً يرجعون إلى العقل ولا يعبأون بالنصوص إطلاقاً، حتى فيما لا تدركه العقول يحكمون العقل، وقد مـر علينا القاعدة عندهم في الصفات حيث يقولون: إن ما أثبته العقل فهو ثابت سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لـم يكن موجوداً، وما نفاه العقل فهو منفي سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أم لا. وما لا يقتضي

العقل إثباته ولا نفيه، فأكثرهم نفاه، لأنه قال لا نثبت إلا ما أثبته العقل، وبعضهم توقف فيه، فما دام العقل لا يدل على إثباته ولا نفيه نتوقف، وهم يجادلون في هذا جدالاً عظيماً، وإذا رأيتهم تعجبك أقوالهم، ولكنها أقوال باطلة، كما قيل فيها:

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

فهم يتناقضون تجد الواحد منهم يرى أن من الواجب أن يوصف الله بكذا، والآخر يرى من المستحيل أن يوصف الله بكذا، وتناقض الأقوال يدل على بطلانهم.

المتن

وقد صنفوا تفاسير على أصول مذهبهم، مثل تفسير عبدالرحمن بن كيسان الأصم شيخ إبراهيم بن إسماعيل بن عُليَّة الذي كان يناظر الشافعي، ومثل كتاب أبي علي الجُبَّائي، والتفسير الكبير للقاضي عبدالجابر بن أحمد الهمداني، والجامع لعلم القرآن لعلي بن عيسى الرماني، والكشاف لأبي القاسم الزمخشري، فهؤلاء وأمثالهم اعتقدوا مذاهب المعتزلة.

الشرح

الكشاف لأبي القاسم الزمخشري كتاب معروف متداول، وهو جيد في اللغة والبلاغة، لكنه على أصول المعتزلة مثل ما قال الشيخ، ولا تكاد تعرف كلامه في ذلك إلا إذا كان عندك علم بمذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة والجماعة، لأنه رجل جيد وبليغ، يدخل عليك الشيء وأنت لا تشعر به، حتى كأنك تظن أن هذا هو الكلام الصحيح، لكن فيه بلاء، يقال إنه قال: **﴿فمن زحزح عن النار**

وأدخل الجنة فقد فاز﴾ [آل عمران، الآية: ١٨٥]، قال أي فوز أعظم من دخول الجنة والنجاة من النار؟! وهذا كلام طيب. لكنه يريد نفي رؤية الله عز وجل، لأن رؤية الله عز وجل أعلى شيء، كما قال تعالى: **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** [سورة يونس، الآية: ٢٦]، فأنت إذا قرأت هذا الكلام فستجده صحيح، فما هناك فوز أعظم من دخول الجنة والنجاة من النار، ولن تدري أن هذا الرجل يشير إلى أنه لا رؤيا، وأن الله لا يرى، لأن رؤية الله أعظم من دخول الجنة، وأعظم من كل شيء. وله أشياء عجيبة وتصرف يتلاعب بالعقول. إذا لم يكن عندك حذر منه ومعرفة بأصول المعتزلة، وأصول أهل السنة والجماعة، فإنك تضل. هذا إذا تكلم فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته وما يتعلق بمذهبهم، أما إذا تكلم في البلاغة والعربية فهو جيد.

المتن

وأصول المعتزلة خمسة يسمونها هم: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتوحيدهم هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات.

الشرح

فهم يقولون: نحن نوحد الله ونقول من أصولنا التوحيد. ولكن التوحيد الذين يريدون له معنى آخر.

والأصل الثاني: العدل، والعدل أيضاً أصل عظيم، قال تعالى: **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾** [سورة النحل، الآية: ٩٠].

والثالث: المنزلة بين المنزلتين، ولتعلموا هذا الأصل عندهم نضرب مثلاً فنقول هناك رجل محافظ على الطاعات متجنب للمعاصي، ورجل آخر يفعل الكبائر وهو مؤمن، ورجل ثالث كافر. فهل تجعل الثلاثة سواء؟ فإذا أجبتهم: بلا، يقولون: إذن هذا المؤمن الذي يفعل الكبائر يصير في منزلة بين المنزلتين، فلا نقول مؤمن ولا كافر.

أما الأصل الرابع فهو إنفاذ الوعيد، فهم يقولون إن الله عز وجل يتوعد على فعل المعاصي التي لا تُخرج من الإسلام مثل: ﴿**ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً**﴾ [سورة النساء، الآية: ٩٣]، ومثل: (ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر، وقاطع الرحم، والمنّان بما أعطى)[١]، ومثل: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل والمنان والمنفِّق سلعته بالحلف الكذب»[٢]. يقولون نحن ننفذ هذا الوعيد لأن الذي قال هذا الوعيد الله عز وجل وهو قادر فلا بد من إنفاذه، فهم يقولون ننفذ الوعيد.

والأصل الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذا من أصولهم، ونعم الأصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فما فضلنا على الأمم إلا بهما، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن سيأتينا ما يريدون بهما من معنى باطل، وما يلبسون به على الناس.

---

(١) أخرجه النسائي رقم (٢٥٦٢) كتاب الزكاة.

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٠٦) كتاب الإيمان.

المتـــن

وتوحيدهم هو توحيد الجهمية الذي مضمونه نفي الصفات وغير ذلك، قالوا إن الله لا يرى، وإن القرآن مخلوق، وإنه ليس فوق العالم. وإنه لا يقوم به علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا كلام ولا مشيئة ولا صفة من الصفات.

الشــــرح

وعلى هذا صار التوحيد عندهم تجريد الله من صفاته، يقولون: وحد الله، يعني جرده من صفاته لأنك إذا أثبت له صفة مثلته بغيره وحينئذ لم تكن موحداً، لأن التوحيد مبناه على أمرين: على النفي والإثبات، لأنه من وحد يوحد، فلا توحيد في إثبات فقط ولا توحيد في نفي فقط، لأن النفي المجرد تعطيل، والإثبات المجرد لا يمنع المشاركة، فلا توحيد إلا بنفي وإثبات.

فإذا قلت: لا قائم، هذا نفي. وبهذا فقد نفيت القيام عن كل أحـد فهـو تعـطيل، وإذا قلت زيد قائم هذا إثبات، لكن لا يمنع المشاركة، قـد يكون عمرو قائم، وخالد قائم. وإذا قلت لا قائم إلا زيد. صار الآن توحيداً، وجعلت القائم واحد وهو زيد.

ومثل ذلك لا إله إلا الله. فهؤلاء يقولون إن التوحيد أن لا تثبت لله صفة أبداً ـ نسأل الله العافية ـ لا سمع ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا علم ولا شيء أبداً.

المتــن

وأما عدلهم فمن مضمونه أن الله لم يشأ جميع الكائنات ولا خلقها كلها ولا هو قادر عليها كلها، بل عندهم أفعال العباد لن يخلقها الله لا خيرها ولا شرها، ولم يرد إلا ما أمر به شرعاً، وما سوى ذلك فإنه يكون بغير مشيئته.

الشــرح

وهـذا هو العدل عندهم. يقولون: إن الله ما يشاء كل شيء، وأفعال العباد لا يشاؤها، ولا خلق كل شيء. ويقولون: لو كان الله يشاء أفعال العباد ويخلقها ثم يعذبهم فهذا ظلم، فإذا قلنا لم يشأها ولم يخلقها، ويعذبهم لأنهم هم الذين شاؤوها وأوجدوها صار ذلك عدلاً. وهذا لو تأتي به لعامي وتحدثه بهذا الحديث وافقك فوراً، وقال هذا صحيح، كيف الله يشـاء أفعـالهم ويخلق أفعـالهم ثم يعذبهم عليها. فهم قالوا: هذا ظلم. إذاً فالله عز وجل لم يشأ أفعال العبد ولا خلقها.

ونقــول لهم رداً على قولهم هذا في الحقيقـة تعـطيل وتنقص للخالق؛ أن يكون في ملكه ما لا يشاؤه ولا يريده، أو أن يكون هناك خلق لم يقم به، وليس الله هو الذي خلقه، وهذا معنى قوله: **﴿الله خالق كل شيء﴾** [سورة الزمر، الآية: ٦٢]، ثم تقول إن الظلم منتف بأمرين: معقول ومنقول.

أما المعقول فلأن الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان عقلاً يدرك به ويعرف به ما يضره وينفعه، وهو ليس كالبهيمة، بل له عقل يتصرف به، ولم يحجزه عن عقله أبداً.

وأما المنقول فقد أرسل إليه الرسل، وبين له الحق من الباطل، وأقام عليه الحجة **﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾** [سورة النساء، الآية: ١٦٥].

الظلم الحقيقي أن يقول لك افعل، ثم تفعل ثم يعاقبك، أما أن يقول: لا تفعل ثم تفعل فيعاقبك فهذا ليس ظلماً أبداً، لو أن رجلاً قال لولده: لا تفعل ثم فعل فعاقبه بعده الناس عدلاً وتقويماً لهذا الابن، فانظر إلى تلبيسهم ـ والعياذ بالله ـ ومجادلتهم، وإلى باطلهم.

ثم هم يقولون: إن الله تعالى لا يريد إلا ما أمر به فقط، فجعلوا الإرادة بمعنى الأمر، أي: الأمر الشرعي، وهذا باطل، لو قلنا إنه لا يريد إلا ما أمر به شرعاً لكان أكثر الناس يعملون بغير إرادته، لأن تسعمائة وتسع وتسعين بالألف كلهم لا ينفذون أمر الله الشرعي، ولا شك أن هناك فرقاً بين الرضا التابع للأمر وبين المشيئة الشاملة لما أمر به وما لم يأمر به.

المتن

وقد وافقهم على ذلك متأخرو الشيعة كالمفيد وأبي جعفر الطوسي وأمثالهما.

الشرح

الشيخ رحمه الله عبر هنا بالشيعة وكان الأول يعبر بالروافض، فهم شيعة بحسب قولهم إنهم شيعة لعلي بن أبي طالب، وهم روافض

لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رحمه الله حين اجتمعوا إليه، وقالوا: ما تقول في أبي بكر وعمر، فأثنى عليهما خيراً وقال هما وزيرا جدي، ويعني بجده الرسول عليه الصلاة والسلام. فلما قال ذلك رفضوه واعتزلوه ومن ثم سموا رافضة.

والحقيقة أن أهل السنة والجماعة هم شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن آمن من آل البيت، لأن المؤمن هو ولي لكل مؤمن، قال الله تعالى: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** [سورة التوبة، الآية: ٧١]، فكل من كان أكثر إيماناً بالله عز وجل، فإنه أكثر ولاية للمؤمنين من آل البيت ولغيرهم، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه بريء مما ينسب إليه من هذه الأقوال الباطلة، بل إنه رضي الله عنه حرق غاليتهم بالنار، لما جاؤوا إليه وقالوا انت الله ـ نعوذ بالله ـ فاصبر؛ أمر بالأخاديد فخددت وبالحطب فجمع ثم ألقاهم في النار شر قتلة، لأنهم جعلوه إلٰهاً(١)، والذين لا يجعلونه إلٰهاً باللفظ قد

---

(١) فعن ابن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعليٍّ: إن هنا قوماً على باب المسجد، يدّعون أنك ربّهم، فدعاهم، فقال لهم: ويلكم! إنما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، ثم دعاهم إلى الرجوع فأبوا، فأمر عليٌّ رضي الله عنه قنبراً مولاه بأن يخدّ لهم أخدوداً على باب المسجد، وقال: احفروا فأبعدوا في الأرض، وجاء بالحطب، فطرحه في الأخدود، وأوقد عليه وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم فيها حتى إذا احترقوا قال:

إني إذا رأيت أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قنبرا

وقال الحافظ ابن حجر: وهذا سند حسن. انظر فتح الباري (١٢/٢٨٢).

يجعلونـه إلهاً بالمعنى، ويعتقدون أنه مدبر للكون، وأنه ما من ذرة في الأرض ولا في السماء إلا والذي يديرها علي بن أبي طالب قطب الأقطاب.

وعلى كل حال فنحن نقـول نشهـد الله عز وجـل على محبـة المؤمنين من آل البيت، ونـرى أن المؤمن من آل البيت لهم حقان علينا؛ الحق الأول: إيمانه، والثاني: قرابته من رسول الله ﷺ، ونرى أنهم ما شرفوا إلا لقربهم من الرسول عليه الصلاة والسلام، وليس الرسول هو الذي شرف بهم، بل هم شرفوا بالقرب منه، ونرى أيضاً أنهم مراتب ومنازل، وأنهم وإن تميزوا بهذه الخصيصة وهي القرب من الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يعني ذلك أن لهم الفضل المطلق على من فضلهم في العلم والإيمان، فأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم هؤلاء أفضل من علي بن أبي طالب الفضل المطلق، وإن كان علي بن أبي طالب يمتاز عليهم في بعض الخصوصيات، لكن هذا لا يلزم منه التفضيل المطلق، لأن هناك فرقاً بين الإطلاق وبين التقييد.

وبالنسبة لإحراقهم بالنار فهو رضي الله عنه رأى أن هذا أعظم عقوبة، مثل ما فعل أبو بكر رضي الله عنه في الأمر بتحريق اللوطي، وإن كان الإنسان قد يخفى عليه بعض الشيء أحياناً، ولهذا قال ابن عباس: لو أنه في مقام علي بن أبي طالب لقتلهم، لقول النبي ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» وما أحرقتهم بالنار لأن النبي ﷺ نهى أن يعذب بالنار[1]، فقيل إنه قال: ما اسقط من فضل على العيب والخطأ.

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٦٩٢٢) كتاب استتابة المرتدين.

المتـــن

ولأبي جعفـر هذا تفسير على هذه الطريقة لكن يضم إلى ذلـك قول الإمامية الاثني عشرية، فإن المعتزلة ليس فيهم من يقول بذلك، ولا من ينكر خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي.

ومن أصول المعتزلة مع الخوارج إنفاذ الوعيد في الآخرة، وأن الله لا يقبل في أهل الكبائر شفاعة ولا يُخْرج منهم أحداً من النار. ولا ريب أنه قد رد عليهم طوائف من المرجئة والكرامية والكلابية وأتباعهم فأحسنوا تارة وأساؤوا أخرى حتى صاروا في طرفي نقيض كما قد بسط في غير هذا الموضع.

الشـــرح

وأحياناً يرد بعض الناس على بعض البدع ولكن يكون في طرفي نقيض مع الآخرين فيأتي هو أيضاً ببدعة، مثل ما ذهب إليه بعض الناس من أنه ينبغي في عاشوراء التوسعة على الأهل وإدخال الفرح والسرور، ليقابلوا بذلك الرافضة الذين يجعلون يوم عاشوراء يوم غم وحزن، وهذا خطأ لأن البدعة لا يجوز أن تقابل ببدعة، بل يكفي في البدعة منعها، بأن توضح أن هذا غير مشروع. وأن كل بدعة ضلالة، وأما أن تحـدث شيئاً يقابلها فلا يمكن هذا، ولا ينفع. لا يذهب البدعة إلا السنة فقط.

المتـــن

والمقصود أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأياً ثم حملوا ألفاظ القرآن عليه، وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين، لا في رأيهم ولا في تفسيرهم.

وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين: تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن، إما دليلاً على قولهم أو جواباً على المعارض لهم.

ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحاً يدس البدع، في كلامه ـ وأكثر الناس لا يعلمون ـ كصاحب الكشاف ونحوه، حتى إنه يروج على خلق كثير، ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله، وقد رأيت من العلماء المفسرين وغيرهم من يذكر في كتابه وكلامه من تفسيرهم ما يوافق أصولهم التي يعلم أو يعتقد فسادها ولا يهتدي لذلك.

الشـــرح

ذلك لأنهم كانوا أقوياء في الأسانيد، فتجد ظاهر كلامهم أنه جيد وليس فيه شيء، لكنهم يدسون فيه السم، فهؤلاء الذين ينقلون من تفاسيرهم ما ينقلون وهم يعلمون فساد قولهم: هؤلاء قد اغتروا بأساليبهم وألفاظهم ولم يهتدوا إلى ما كانوا عليه من الباطل، وقد سبق لنا أن بينا أن سبب ذلك أنهم كانوا يعتقدون رأياً ثم يستدلون لرأيهم أو يستدلون بنصوص الكتاب والسنة على ما لا تدل عليه.

المتـــن

ثم إنه بسبب تطرف هؤلاء وضلالهم دخلت الرافضة الإمامية ثم الفلاسفة ثم القرامطة وغيرهم فيما هو أبلغ من ذلك، وتفاقم الأمر في الفلاسفة والقرامطة والرافضة فإنهم فسروا القرآن بأنواع لا يقضي منها العالم عجباً، فتفسير الرافضة كقولهم: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾ [سورة المسد، الآية: ١]، وهما أبو بكر وعمر.

الشـــرح

يعني يريدون أن أبا بكر وعمر هما اليدان، يدان لأبي لهب، وهذا مما يدل على أن الرافضة عندهم من الغل والحقد على الصحابة رضي الله عنهم بل وعلى دين الإسلام ما يتسترون بظاهر حالهم من أنهم مسلمون وأنهم أهل الإسلام، وهم والعياذ بالله في باطن أمرهم من أشد الناس عداوة وبغضاً لأصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، فرجل يقول إنه مؤمن وإنه مسلم، ثم يقول إن هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وهما أشرف الأمة على الإطلاق، فإذا كانت مثل هذه الآيات تنزل فيهما فما بقي للمسلمين شأن بعد ذلك.

المتـــن

و﴿لئن أشركت ليحبطن عملك﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٥]، أي بين أبي بكر وعمر وعلي في الخلافة.

الشـــرح

والمـراد لئن أشركت بالله في عبادته **﴿ولقد أوحي إليك وإلى الـذين من قبلك لئن أشـركت ليحبطن عملك﴾**، وهم يقولون لئن

أشركت بين هؤلاء الثلاثة في الخلافة، يعني لأن جعلتهم خلفاء فإن عملك يبطل، وعلى هذا فقد حرفوا القرآن أعظم تحريف والعياذ بالله.

المتـــن

﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ هي عائشة - حسب زعمهم.

الشـــرح

قاتلهم الله، فالذي يقول هذا هو موسى لقومه، ومع ذلك قالوا إن المراد عائشة أمرنا الله تعالى أن نذبحها، وعندي أن أي إنسان يرى مثل هذه التفاسير، ما يشك في كفرهم والعياذ بالله، ولا يشك أنهم حتى ما عندهم حياء من الله ولا يستحيون من عباد الله **﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾** أين عائشة من موسى حتى ينزل كلام رب العالمين على هذه المعاني؟

هذا قول الرافضة المتقدمين، وكذلك المتأخرين، فإنهم يأخذون عنهم ويجادلون عنهم.

وليس بصحيح قول من يقول إن الرافضة المتقدمين يرون إمامة أبي بكر وعمر، فأنا قد رأيت أمراً عجباً منهم، لكن ليس من كلهم حيث يقول إن أبا بكر كافر وعمر كافر وعثمان كافر وعلي كافر، الثلاثة الأولون قالوا كفرة لأنهم ظلمة، والرابع علي لأنه لم يدافع، عن الحق واستسلم للباطل، فكفر برضاه بالباطل.

المتـــن

و﴿قاتلوا أئمة الكفر﴾ [سورة التوبة، الآية: ١٢] طلحة والزبير.

الشـــرح

وهـذا لا يستقيم، يقـول تعالى: **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهـدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر﴾** هذا في المعاهدين الذين عاهدهم الرسول عليه الصلاة والسلام، والحكم ينسحب على غيرهم بالقياس، والآية ليست لما أراد هؤلاء المحرفون والعياذ بالله، لكنهم لا يبالون ولا يستحيون لا من الله ولا من عباد الله ولا من أحد.

المتـــن

و﴿مـرج البحـرين﴾ [سـورة الـرحمن، الآيـة: ١٩] علي وفـاطمـة، و﴿اللؤلؤ والمـرجان﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٢] الحسن والحسين

الشـــرح

﴿مـرج البحـرين يلتقيـان. بينهما برزخ لا يبغيان. فبأي آلاء ربكما تكذبان. يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان﴾ إذا كان بينهما برزخ لا يبغيان فهل علي مع فاطمة بينه وبينها برزخ؟ لكن هذه سخافة مثل ما قال الشيخ رحمه الله يقضي العالم منها العجب من سوء الفهم وسوء القصد، يعني تفاسيرهم هذه جامعة بين أمرين: بين سوء الفهم وبين سوء القصد.

والمراد بالبحرين كما قال العلماء معناه المالح والعذب، والبرزخ الذي بينهما قيل إنه ما يرى عند مصب النهر في البحر فإن النهر يأتي منـدفعـاً بقوة وأمامه كالحاجز فلا يمتزج بالبحر عند المصب، وقال بعض أهـل العلم إن المـراد بالبـرزخ الـذي بينهما هو اليابس من الأرض، وأن هذا من قدرة الله عز وجل لأن الأرض كروية وكيف أن

الله عز جل أمسك هذا البحر فيها حتى لا يبغي. ولا يبغي بمعنى لا يطغى على اليابس وقال بعضهم إن هذا البرزخ هو برزخ دقيق بين البحر المحيط والبحار الأخرى التي تعتبر كالخلجان بالنسبة له. فبينها برزخ، ويقولون إنه يحس به بالأسماك التي تعيش في هذا ولا تعيش في الثاني أو بالعكس، وهذا يدل على أنها متنوعة على الرغم من أنها متلاصقة، فبينهما برزخ.

فهذه ثلاثة أقاويل في معنى هذا، ولم يقل أحد من أهل العلم - لا السابقون ولا اللاحقون - إن المراد به فاطمة وعلي بن أبي طالب، لكن هذه من خرافات الرافضة والعياذ بالله.

المتن

﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ [سورة يس، الآية: ١٢] في علي بن أبي طالب.

الشرح

أين هذا من اللفظ؟ **﴿كل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾** أي في كتاب يأتم به الإنسان ويأخذ به ويراه ويشاهد عمله، فأين هذا من علي بن أبي طالب؟ لكن هم يقولون علي إمام ومبين وفصيح ومظهر للحق، فكل شيء أحصاه الله في هذا الرجل، كل شيء أحصيناه كائن في إمام مبين، وهذا وضح في أنهم يدعون أن علي بن أبي طالب يعلم الغيب لأنهم يقولون كل شيء أحصيناه. أين مكانه؟ في هذا الإمام، أي كائن في هذا الإمام، فعلى هذا يعتقدون أن عند علي بن أبي طالب من علم الغيب والشهادة ما عند الله، فكل ما

أحصاه الله من الأمور فإنه كائن في هذا الإمام في علي بن أبي طالب.

المتـــن

﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾ [سورة النبأ، الآيتان: ١، ٢] علي بن أبي طالب.

الشـــرح

﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون﴾ يقولون إن هذا علي بن أبي طالب لأن الناس مختلفين فيه ما بين مادح وقادح ومحب ومبغض، ولكن هل علي نبأ أم منبأ به؟ ثم هذا الخلاف ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ كائن أم سيكون؟ كائن لأنه ما قال: الذي هم فيه يختلفون أو سيختلفون، وعلي بن أبي طالب حين نزلت الآية ما اختلف الناس فيه.

المتـــن

﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾ [سورة المائدة، الآية: ٥٥]، هو علي، ويذكرون الحديث الموضوع بإجماع أهل العلم، وهو تصدقه بخاتمه في الصلاة(١).

الشـــرح

وليس ذلك بصحيح ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٤/٦٢٨، ٦٢٩).

المقصود كل مؤمن فهو ولي لله ورسوله، قال تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٧] والرسول عليه الصلاة والسلام يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه»(١)، فهذه الولاية الحقيقية، ولا ريب أن علي بن أبي طالب له حظ من هذه الآية كغيره من المؤمنين، وأنه ممن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويركع ويسجد رضي الله عنه، ولكن لا يمكن أن نقول إن هذا خاص به لا يتناول غيره، فعلي رضي الله عنه يدخل في الآية وأبو بكر وعمر وعثمان وابن مسعود وابن عباس وخالد بن الوليد غيرهم من الصحابة كلهم داخلون في هذه الآية.

والزبير بن العوام قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن لكل نبي حواري وإن حواري الزبير»(٢)، ومع ذلك فهم يقولون إن الزبير من أئمة الكفر، فإذا كان الزبير من أئمة الكفر وهو حواري الرسول ﷺ، كيف يكون أصحاب الرسول ﷺ الخاصون به هم أئمة الكفر؟ وما ظنك برجل يكون أصحابه الخاصون به أئمة الكفر؟ يكون مثلهم إما بطريق اللزوم، وأما بطريق الاصطحاب، ولهذا جاء في الحديث وإن كان فيه نظر: «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٥٣٧١) كتاب النفقات. بلفظ: «أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم». ومسلم رقم (٤٣)، كتاب الجمعة واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري رقم (٢٨٤٦) كتاب الجهاد. ومسلم رقم (٤٨) كتاب فضائل الصحابة.

(٣) أخرجه الترمذي رقم (٢٣٧٨) كتاب الزهد. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

المتن

وكذلك قوله: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٥٧]، نزلت في علي لما أصيب بحمزة.

الشرح

والآن أسأل أيهما أعظم مصاباً الرسول ﷺ أم علي بحمزة؟ الرسول ﷺ. ولكنهم يقولون: إن علي هو الذي أصيب بحمزة، وهو الذي له هذه الآية، فيكون من كذبهم وافتراؤهم علي بن أبي طالب أشد حزناً على فقد حمزة من رسول الله ﷺ، وكذبوا والله في ذلك، فالمصاب به أعظم ما أصيب به بلا شك هو الرسول عليه الصلاة والسلام.

المتن

ومما يقارب هذا من بعض الوجوه ما يذكره كثير من المفسرين في مثل قوله: ﴿الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٧]، إن الصابرين رسول الله، والصادقين أبو بكر، والقانتين عمر، والمنفقين عثمان، والمستغفرين علي.

الشرح

وهذا جهل أيضاً لأن هذه الأوصاف يصح أن تنطبق على موصوف واحد، أما توزيعها فهذا غير صحيح، وأيضاً الصابرين والصادقين والقانتين الذي يظهر أن القانت أفضل منهم. فكيف يكون الرسول في مرتبة الصبر، وهذا في مرتبة الصدق، وهذا في مرتبة القنوت؟ الرسول عليه الصلاة والسلام هو أفضل من اتصف بهذه الصفات، فهو أصبر

الصـابرين، وأصدق الصادقين من الخلق، وكذلك أفضل القانتين، وهو أجود المنفقين، حتى إنه يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، ويبيت طاوياً، وأما استغفاره فناهيك به؛ كان يستغفر الله ويتوب في اليوم مائة مرة[١]، وكان يقوم الليل حتى تتورم قدماه ويقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً»[٢].

المتـــن

وفي مثـل قوله: ﴿محمد رسول الله والذين معه﴾ أبو بكر ﴿أشداء على الكفار﴾ عمر ﴿رحماء بينهم﴾ عثمان ﴿تراهم ركعاً سجداً﴾ علي [سورة الفتح، الآية: ٢٩].

الشـــرح

هذا التوزيع ليس بتفسير الرافضة لكنه تفسير قاصر بلا شك، يقول: **﴿محمد رسول الله والذين معه﴾** لأن أبا بكر معه في الغار **﴿إذ يقـول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا﴾** [سورة التوبة، الآية: ٤٠]، وعمر **﴿أشداء على الكفار﴾** لأن أشد الناس في دين الله عمر، وعثمان مشهور بالرحمة واللين والعطف، **﴿ركعاً سجداً﴾** علي بن أبي طالب رضي الله عنه من الراكعين الساجدين، لكن عثمان أيضاً شهر عنه أنه كان يقـوم الليل، وأنه كثير القيام، والمهم أن هذا خطأ وأن قوله: **﴿والـذين معـه﴾** يشمل كل الصحابة، وقوله: **﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾** ينطبق على الجميع.

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٤١) كتاب الذكر.

(٢) أخرجه البخاري رقم (١١٣٠) كتاب التهجد. ومسلم رقم (٧٩، ٨٠، ٨١) كتاب صفات المنافقين.

المتن

وأعجب من ذلك قول بعضهم ﴿والتين﴾ أبو بكر ﴿والزيتون﴾ عمر ﴿وطور سينين﴾ عثمان ﴿وهذا البلد الأمين﴾ علي.

الشرح

هذا اجتهاد تفسير والشيخ رحمه الله ينقل عن تفسيره التين: أبو بكر، الزيتون: عمر، وطور سينين: عثمان، وهذا البلد الأمين: علي بن أبي طالب. سماهم كلهم بمأكول ومسكون. ولعله لما قدم التين وكان أبو بكر رضي الله عنه مقدماً بدأ به، قال ما دام أبو بكر أفضلهم والله بدأ بالتين ثم بالزيتون على حسب ترتيبهم في الخلافة والأفضلية.

هو قال: إن هذه أربع كلمات، وهؤلاء أربعة وهم مرتبون هكذا أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي.

المتن

وأمثال هذه الخرافات التي تتضمن تارة تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحال، فإن هذه الألفاظ لا تدل على هؤلاء الأشخاص، وقوله تعالى: ﴿والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً﴾. كل ذلك نعت للذين معه، وهي التي يسميها النحاة خبراً بعد خبر، والمقصود هنا أنها كلها صفات لموصوف واحد وهم الذين معه، ولا يجوز أن يكون كل منها مراداً به شخصاً واحداً، وتتضمن تارة جعل اللفظ المطلق العام منحصراً في شخص واحد كقولهم: إن قوله تعالى: ﴿إنما وليكم الله ورسوله

والـذين آمنوا﴾ أريد بها علي وحده، وقول بعضهم: إن قوله: ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به﴾ أريد بها أبو بكر وحده.

الشـــرح

هذا قال به بعض المفسرين، قالوا: **﴿والذي جاء بالصدق وصدّق به﴾** هذه نزلت في أبي بكـر ولكن سبق لنا قولهم نزلت في كذا يعني أنه داخـل في معناها فيكون تفسيراً، وعلى هذا فمن قال إنها نزلت في أبي بكر، فمعناه أن أبي بكر رضي الله عنه يدخل في هذا الوصف: **﴿والذي جاء بالصـدق وصدق به﴾** ولا شك أن أول من يدخل فيها الرسول عليه الصلاة والسلام، فإنه جاء بالصدق وصدق به؛ فشهد لنفسه عليه الصلاة والسـلام أنه رسول الله حقاً، وأنه عليه الصلاة والسلام مرسل إلى جميع النـاس، وأُمِـر أن يقـول ذلك: **﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾**. فكان جاء بالصدق مصدق به أيضاً.

المتـــن

وقوله: ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل﴾ أريد بها أبو بكر وحده ونحو ذلك.

الشـــرح

والذي قال أريد بها أبو بكر مثلاً نقول إن أراد على سبيل الحصر فخطأ، وأن أراد على سبيل المثال فصحيح. لنا أن نقول نزلت في أبي بكر يعني وفي أمثاله، ولكن إن أريد الحصر فهذا لا يجوز، وهذه قاعدة في التفسير؛ أنه لا يجوز أن يخصص العام ويحصر معناه إلا بدليل، فإن جاء الـدليل مثـل قولـه: **﴿الـذين قال لهم النـاس**

قد جمعوا لكم﴾ إن الناس: المراد بهم أبو سفيان ﴿قد جمعوا لكم فاخشوهم﴾ وهذا كما قيل، وإلا فإن الواجب إبقاء العام على عمومه، لأن حصره في واحد من أفراده قصور في التفسير، وكما نعلم جميعاً أن المفسر يجب أن يكون مطابقاً للمفسر، أما أن يخصص فهذا لا يجوز، كما أنه لا يجوز أن يعمم أيضاً، فإذا جاء نص في شيء خاص لم نجز أن نجعله عاماً اللهم إلا عن طريق القياس، إن كان مما يمكن فيه القياس.

المتــن

وتفسيـر ابن عطية وأمثاله أتبع للسنة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزمخشري، ولو ذكر كلام السلف الموجود في التفاسير المأثورة عنهم على وجهه لكان أحسن وأجمل، فإنه كثيراً ما ينقل من تفسير محمد بن جرير الطبري وهو من أجل التفاسير المأثورة وأعظمها قدراً، ثم إنه يدع ما نقله ابن جرير عن السلف لا يحكيه بحال، ويذكر ما يزعم أنه قول المحققين، وإنما يعني بهم طائفة من أهل الكلام الذين قرروا أصولهم بطرق من جنس ما قررت به المعتزلة أصولهم، وإن كانوا أقرب إلى السنة من المعتزلة، لكن ينبغي أن يعطى كل ذي حق حقه ويعرف أن هذا من جملة التفسير على المذهب.

الشــرح

هذا من كلام الشيخ رحمه الله، وهو يدل على أن الرجل منصف وعادل، وأن الحق ولو كان من أهل البدع، يجب أن يقبل، وأن أهل البدع إذا كان بعضهم أقرب إلى السنة من بعض يجب أن يثنى عليهم

بهذا القرب، وأما أن نرد ما قاله أهل البدع جملة وتفصيلاً حتى ما قالوه من الصواب، ونقول هذا قاله صاحب بدعة، فهذا خطأ، لأن الواجب أن يقول الإنسان الحق أينما كان ولا ينظر إلى قائله، ولهذا قال يجب أن يعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال، أنت إذا عرفت الحق بالرجال معناه أنك مقلد محض، لكن إذا عرفت الرجال بالحق، وأنه إذا كان ما يقولونه حقاً فهم رجال حقاً فهذا هو العدل، فالشيخ رحمه الله يقول: يجب أن يعطى كل ذي حق حقه حتى ولو كان من أهل البدع وكان قريباً من أهل السنة فإننا نعطيه حقه، ونقول إن هذا المبتدع أقرب إلى السنة من هذا المبتدع.

المتن

فإن الصحابة والتابعين والأئمة إذا كان لهم في تفسير الآية قول وجاء قوم فسروا الآية بقول آخر لأجل مذهب اعتقدوه ـ وذلك المذهب ليس من مذاهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ صاروا مشاركين للمعتزلة وغيرهم من أهل البدع من مثل هذا.

وفي الجملة من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً في ذلك بل مبتدعاً، وإن كان مجتهداً مغفوراً له خطؤه.

فالمقصود بيان طرق العلم وأدلته وطرق الصواب.

الشرح

وهنا يجدر التنبيه إلى هذه المسألة المهمة فإن من عدل عن مذاهب الصحابة والتابعين وتفسيرهم إلى ما يخالف ذلك كان مخطئاً